



جمهورية بنسأا الخير



الأمانة العامة للأوقاف

كنت معهم قبل الموت

د. عبد الحميد جاسم البلال



جمعية بنسائ الخير



الأمانة العامة للأوقاف

كنت مهم

قبل الصوت

د. عبد الحميد جاسم البلالي

جميع الحقوق محفوظة © لـ



جمعية بنّاء الخير

الخط الساخن

9721 5670

يمكنكم التبرّع عن طريق
الموقع الإلكتروني باستخدام



www.albshayer.com

نستقبل تبرعاتكم على الحسابات التالية:

الصدقات: 251010006255

الزكاة: 251010006247

بيت التمويل الكويتي - فرع الروضة

للتبرّع: 9 7 2 1 5 6 7 0

الطبعة الثالثة ١٤٤٤ - ٢٠٢٣

الرقم المعياري الدولي:

ISBN: 978-9921-0-2715-0

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

هذه زفرات ونفثات من قلب مكلوم أبثها للقارئ الكريم، لعل ذلك البث يخفف شيئاً من الألم الملازم بسبب بعض أبنائنا الذين سلكوا طريق المخدرات، حتى غدا عنصراً رئيساً في حياتهم، لا يستطيعون الحديث إلا به، ولا الحركة إلا بتعاطيه، ولا القرار إلا بعد أن يدسوه في دمائهم، عيونهم غائرة، أجسادهم ناحلة، ألوانهم باهتة، عظامهم ناتئة، قواهم خائرة، تكلمهم في أمر، وهم في أمر آخر، الناس في واد وهم في واد آخر، ولا هم لهم سوى الحصول على ذلك المخدر، ذلك مبلغهم من العلم، ومناهم من الحياة، دخلت على خط حياتهم مع رجال جمعية بشائر الخير، والأمل يحدونا أن نقذهم فيماهم فيه، وبذلنا بما وسعنا، وبما فتح الله علينا، فبعضهم أصغى قلبه لنا فاهتدى وهدى، والبعض الآخر استمع بأذنيه ولم يستمع بقلبه فاستمر على ما هو فيه في دائرة، كلما انطلق من نقطة عاد إليها

ثانية، بين سجن، ومستشفى، ووكر للمخدرات، وآخرون اهتموا فترة من الزمان، ثم ما لبثوا أن انتكسوا فعادوا إلى ما كانوا عليه. في هذه الورقات أتذكر بعض هؤلاء ممن ختم الله لهم بنهاية سوداء مخيفة على غير طاعة الله تعالى. ممن أصروا على المضي في هذا الطريق حتى القبر، أو من أولئك الذين اهتموا ثم انتكسوا، فختم الله لهم تلك الخاتمة المرعبة... ومهما حاولت نسيانهم - فإنني لا أستطيع، لقد كنت معهم قبل الموت.

ولعل في ذكرهم عبرة لأولى الألباب.

وهذا لا يعني كما يظن البعض أنه فشل في عمل «جمعية بشائر الخير»، فإن من طبيعة طريق المخدرات أن تكون نسبة الانتكاسة فيه عالية، حتى غدت النسبة العالمية المسجلة هي ٩٥ ٪ ولكنها وبفضل الله تعالى لم تزد في جمعية بشائر الخير على ٢٠ ٪ مما يعد إنجازاً غير مسبوق.

كما أن هذا يعني أن نسبة الانجاز عندنا عالية جداً بما لم يسجل في أي مصح من مصحات العالم، ولكننا عندما نذكر خاتمة البعض ممن أصر على المضي في طريق المخدرات، إنما



نريد في ذلك أن يتعظ التائبون الجدد، ومن تحدثه نفسه بالعودة
إلى هذا الطريق، فيكون في هذه القصص العبرة.



● ملاحظة

حفاظاً على السرية، وإتباعاً لمبدأ السر الذي أمرنا به الله
ورسوله ﷺ، فإن جميع الأسماء التي جاءت في هذا الكتاب،
أسماء مستعارة.



الباب الأول

الانتكاسة

- ❑ ما هي الانتكاسة ؟
- ❑ أهم أسباب الانتكاسة ؟
 - ترك الدعاء بالثبات.
 - ملازمة رفاق السوء.
 - إثثار العزلة.
 - عدم بذل أسباب الثبات.
 - الثقة الزائدة بالنفس.
 - عدم تحمل المصائب.
 - عدم القضاء على الماضي وآثاره.
 - عدم الإخلاص في التوبة.
 - المخدر البديل.
 - الغلو في الدين.

الانتكاسة

□ ما هي الانتكاسة؟

(انتكس) الشيء : انقلب - يقال : نكسه. فانتكس. والمريض : عاودته العلة بعد النقه^(١).

ونقصد هنا العودة للضلال بعد الهداية، والعودة للإدمان بعد الإقلاع.

□ أهم أسباب الانتكاسة؟:

لا يمكن أن ينتكس تائب من غير مقدمات وأسباب تدرج فيها حتى انتكس، ونحن نسوق هنا هذه الأسباب ليتعظ التائبون، ويتنبهون، حتى لا يقعون فيما وقع فيه غيرهم، ومن أبرز هذه الأسباب :

● ترك الدعاء بالثبات :

فقد كان الصالحون منذ جيل الصحابة الكرام إلى أن يرث الله

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٥٢٥٣

الأرض ومن عليها يكثرون من الدعاء بالثبات خوفاً من الانتكاسة إلى الضلال بعد أن من الله عليهم بنعمة الهداية. وقد كان أكثر دعاء الرسول ﷺ «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١)

ومبعث ذلك خوف التائب من العودة إلى ما كان عليه من ضنك المعصية وظلمتها بعد أن ذاق حلاوة الإيمان والطاعة.

وقد يظن بعض التائبين أنه لا يحتاج إلى الدعاء بالثبات مادام قد هداه الله، وهذا من أكبر الجهل بأهمية الدعاء وأثره، فكم من التائبين قد انتكسوا، ولو كان أحد أولى بترك الدعاء لكان أحب الخلق إلى الله، وهو الرسول ﷺ، ومع ذلك ما تركه أبداً، لشدة الخوف من الله، ولعلمه ﷺ أن الدعاء من أعظم العبادات التي يحبها الله تعالى، وتكون سبباً رئيساً من أسباب الهداية والثبات.

ومن الأهمية بمكان ألا يستعجل التائب إجابة الدعاء، وأن يبذل أسباب الاستجابة من الحرص على أن يكون طعامه حلالاً.

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٣٧/١

وإرجاع الحقوق إلى أهلها، وصلة الأرحام وخاصة
الوالدين، وتحري أوقات الاستجابة كالثلث الأخير من الله،
وقبيل إقامة الصلوات وأثناء السجود، وأدبار الصلوات، وعند
نزول المطر، وعند المرض والسفر.

● ملازمة رفاق السوء :

قد يستخف بعض التائبين بمثل هذا السبب، ويرجع إلى
أصدقاء السوء القدامى، لأنه يأنس إلى طبعهم، ولأنه يصعب
عليه التأقلم مع أصدقاء الهداية الجدد، وقد يكون حريصاً في
البداية، ولكن لا يلبث أن يضعف أمام كلمة من هنا، ورجاء من
هناك، وتذكير بالأيام الخوالي من ذلك، وإثارة من هذا،
واستهزاء بالتزامه من ذلك، إلى أن يضعف فيرجع إلى ما كان
عليه من المعصية.

لذلك كانت النصيحة الغالية من ذلك العالم إلى قاتل المائة أن
يترك قريته التي كان يسكن فيها «قرية السوء» ويذهب إلى قرية
الصالحين ليعبد الله مع الصالحين، والرسول ﷺ يقول: «الرجلُ

على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل^(١)، وقديماً قالوا :
«الصاحب صاحب» فمن أراد الثبات على طريق الإيمان لابد له
من ترك أصحاب السوء وعدم العودة إليهم.

● إيثار العزلة :

يظن بعض التائبين أنه إذا عزل نفسه تماماً عن الناس، فإن
ذلك يساعده في التوبة والثبات، وهذا غير صحيح، ففي العزلة
ينفرد فيك الشيطان، ويذكرك بالماضي، والتائب إنسان مازال
ضعيف ويحتاج إلى العون ليزداد ثباتاً، فهو بأشد الحاجة
لإخوانه الصالحين، ولمجالس الذكر والعلم والقدوات كي
يحتك فيهم، ويتأثر بأخلاقهم ويستمتع إلى نصحتهم، وكما جاء
في الحديث «فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ»^(٢).

● عدم بذل أسباب الثبات :

الإقلاع وحده لا يكفي، بل لابد من بذل أسباب الثبات على

(١) رواه أبوداود وحسنه الألباني (ص.ج.ص ٣٥٤٥)

(٢) رواه أحمد في مسنده ١٩٦/٥ وحسنه الألباني (ص.ج.ص ٥٧٠١)

الطريق، ومن أبرز ذلك الالتزام بالفرائض، وخاصة الصلوات، وأن يحرص على تأديتها في المسجد، وأن يحقق شروط التوبة، والتي من أبرزها الندم، والعزيمة على عدم العودة للمعصية، والإقلاع الفوري للمعصية، وإرجاع الحقوق إلى أهلها. وأن يبذل بعض العبادات والنوافل المقوية للتائب مثل - صيام النوافل الاثنين أو الخميس، والثلاث البيض، والقراءة اليومية للقرآن، وحفظ الأذكار، تلاوتها في الليل والنهار وأدبار الصلوات، وعند النوم، وعند الاستيقاظ، وعند الحاجة.

وأن يكون له شيئاً من قيام الليل، وإن كان قليلاً، إما قبل أن ينام، أو قبيل الفجر بربع أو نصف ساعة يوماً أو يومين في الأسبوع.

وأن يحرص على حلقات العلم، وخاصة الإيمانية، ويستمع ويتابع البرامج الدينية، وأن يمتنع تماماً عن كل ما يضعفه، من الاستماع إلى الأغاني والموسيقى، ومشاهدة العاريات في التلفزيون أو مواقع الإنترنت، وأن تكون له قراءات في الكتب الإسلامية. و مصاحبة الأخيار، وغيرها من الأمور المقوية.

● الثقة الزائدة بالنفس :

بعض التائبين تزداد ثقته بنفسه، ويستبعد الانتكاسة تماماً أو الضعف، فيذهب إلى أماكن الفتن والعصاة، وأصدقاء السوء القدامى، بنية هدايتهم، وما يلبث أن يقع في شركهم، لذلك لابد من التنبيه إلى الابتعاد الكامل عن أماكن الخطر، وعدم الاستسلام لزينة الشيطان.

● عدم تحمل المصائب :

لا بد أن يعلم التائب أنه بمجرد وضع قدمه في طريق الحق، فإنه سيتعرض للاختبار الرباني، ليرى الله صدقه من كذبه، حيث يقول المولى في كتابه الكريم في سورة العنكبوت ﴿الْعَنَكَبُوتِ﴾ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) (١) فسيستعد لهذه الاختبارات الربانية من بلاء في الرزق أو الصحة، أو الوظيفة، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿١﴾ .

إذن من يثبت عند المصيبة، ويزداد قربهِ إلى الله تعالى، ويلجأ
إليه بطلب العون، ولا يعترض على قدر الله، ويستسلم لأمره
فإن الله يزيده إيماناً وثباتاً، ويلقى حلاوة الإيمان في قلبه وتنزل
الرحمة عليه، ويفرج الله عنهم ما هم فيه من البلاء ويقول
تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ﴾ ﴿٢﴾ .

أما الذين يضعفون عند نزول البلاء، وبدل أن يلجأوا إلى
الله، يلجئون إلى المخدر، ظانين أنهم بذلك يخففون عن
أنفسهم وقع المصيبة، فإنهم بذلك يرسبون في الاختبار، وترداد
مصيبتهم تعقيداً، ويفقدون كفاية الله لهم، و هدايته وتبتيته،
فيكونون عرضة للشيطان.

(١) سورة البقرة ١٥٥ - ١٥٧

(٢) سورة الطلاق ٢ - ٣

● عدم القضاء على الماضي وآثاره :

إن من أبرز صفات التائب الحق، هو القضاء على كل ما يتصل بالمعصية، فيلقى جميع ما لديه من المخدرات، و يتلفها، ويترك أصحاب السوء، ويتخلص من أرقام هواتفهم، ويكسر آلات الموسيقى، ويكسر زجاجات الخمر، ويمزق صور العاريات والخليعات، ويتخلص من المال الحرام، ويقطع علاقاته الآثمة بالنساء. إن إبقاء مثل هذه الأمور لدى التائب، بمثابة الإبقاء على بعض الشياطين قريباً منه، وهذه الشياطين كل يوم تناديه ولا بد أن يستجيب، ويضعف يوماً من الأيام. ولا بد أن يتذكر القاعدة الإيمانية «من ترك شيئاً لله، عوّضه الله خيراً منه» وعموماً لا بد من الابتعاد والقضاء على كل ما يذكرك بالمعصية.

● عدم الإخلاص في التوبة :

بعض التائبين لم يترك المخدر لله، بل تركه خوفاً من السجن أو خوفاً من زوجته أو والديه، أو خوفاً من رقابة المباحث، أو خوفاً من فقد منصبه ووظيفته، وبالتالي فإن مثل هؤلاء على شفا

حفرة يوشك أن يقع فيها، وينتكس، ولا بد من تصحيح النية فلا يثبت على الإيمان والهداية إلا من ترك المعصية لله تعالى، خوفاً من عقابه، ورجاء رحمته وجنته.

● المخدر البديل :

بعض المنتكسين كان سبب انتكاسته تصديق الشيطان الذي أقنعه بأن العودة إلى مخدر أقل أثراً أو الرجوع للخمر لا يعتبر انتكاساً، فيستمر ذلك الأمر ويرجع إلى الشرب، أو الحبوب، وما يلبث أن يتدرج به الشيطان حتى يعيده إلى المخدرات الكبرى، وبقية المعاصي.

● الغلو في الدين :

ومن عجائب أسباب الانتكاسة، أخذ هذا الدين بغلو لا تتحمله النفس، فمنذ الأيام الأولى يأخذ نفسه بالشدة دون التدرج، ويتفاجئ بأن نفسه لا تتحمل ذلك فينتكس، ولقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه قوله ﷺ «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قَالَهَا ثَلَاثًا» .

قال الإمام النووي: المتنطعون المتعمقون المغالون

المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

ويقول ﷺ في حديث آخر: «لَا تُشَدُّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَيُشَدَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَوْمًا شَدَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْأَدِيرَةِ وَرَهْبَانِيَّةٍ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ»^(١).

فالهداية مطلوبة، ولكن بالهدوء والتروي والتدرج، وعدم المغالاة، والتشدد، فإن النفس لا تتحمل الشدة، وكم مر معنا من التائبين من تشددوا فكانت نهايتهم الانتكاسة والعودة إلى السجون بما قاموا به من انتكاسة أدت بهم إلى فعل الجرائم.



(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٤)، وأبو يعلى (٦/٣٦٥)، وصحح إسناده البوصيري في (تحاف الخيرة ٤/٢٥٩).

البَابُ الثَّانِي

قصص من الواقع

- ☐ الحياة الضنك.
- ☐ فريسة الكلاب.
- ☐ مولاي هون علينا.
- ☐ المترجم.
- ☐ اصطدام بعد صلاة الفجر.
- ☐ بطل الكاراتيه.
- ☐ وسقط بعد الالتزام.
- ☐ كانوا ثلاثة.

قصص من الواقع

هذه مجموعة من القصص الواقعية التي عايشتها بنفسي مع كل شخصية في هذه القصص، وعاشتها منذ بداية هدايته أو أثناء مسيره في عالم الإدمان، وحتى توقف قلبه عن الخفقان بسبب هذا المخدر، ومن خلال هذه القصص نلمس قدرة الله العجيبة، وآياته العظيمة، التي توضح لجميع الأحياء من البشر أن سنة الله ماضية لن تتبدل، ولن تتغير... وقال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(١).

والتي تقتضي بأن الله لا يثبت إلا أولئك الذين بذلوا أسباب الثبات التي بينها في كتابه وسنة نبيه، أما أولئك الذين لا يبذلون أسباب الثبات فليسوا بمأمن من سوء الخاتمة، التي نلمسها في كل قصة من هذه القصص.

القصة الأولى

الحياة الضنك

يقول تعالى في سورة طه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيلَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَّا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسى ﴿١﴾ .

والذكر في هذه الآية هو الدين والشرائع المفروضة كما قال المفسرون، و الضنك أي العيش الضيق والنكد وما تبعه من قلق وحيرة وكآبة وأمراض نفسية، وتعسير الأمور وما تولد عن ذلك من الآلام التي لا نهاية لها.

والمدمن نموذج صارخ واضح من البشر الذين اختاروا بمحض إرادتهم البعد عن طريق الله تعالى، والإمعان في الأعراض عن طرق الهداية التي تتاح لهم في هذه الحياة، وتتضح جلياً المأساة والنتيجة التي تنتج بسبب هذا الإعراض من الأمراض الجسدية والنفسية، والتي تتجلى في قوله تعالى ﴿فَإِنَّ

(١) سورة طه الآيات ١٢٤-١٢٦

لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ۖ ونحن نرى ذلك واضحاً أثناء احتكاكنا بالمدمنين المُصْرِّين على هذا الدرب المعوج .. إننا نرى الضنك الذي يعيشون فيه من كآبة، وفصام، ووساوس، ورعب وهلاوس وشك وحيرة، توتر دائم وأمراض جسدية لا حصر لها.

لقد كان صاحب قصتنا هذه أحد النماذج التي أصرت على حياة الضنك، حيث أوصلته هذه الحياة إلى القبر، وهو مصر على حياة الإدمان والمدمنين.

فقد اتصل بنا أخوه الكبير، وترجاني أن أساعده في الخروج من دائرة الإدمان، وليبنا النداء، وكلفت الأخوة الأفاضل في جمعية البشائر بالعمل معه، فتعرفنا عليه، وإذا به شاب في بداية العقد الرابع من عمره، ذو خلق دمث، ورغبة في الإقلاع، مما شجعنا للعمل معه، وقويت العلاقة معه، وبدأ حضور برامجنا.

● الترشيح للعمرة

ازداد مستواه، واقلع عن الخمر والمخدر، وبدأ يستعيد صحته، وعلاقته مع أبنائه ومطلقته التي طلقها بسبب الإدمان، بدأ يشعر بطعم الحياة وتزداد محبته لنا، وكان حريصاً على

حضور جميع الأنشطة، مما شجعنا على ترشيحه لنشاط العمرة السنوية، وفرح إخوانه بهذا التغير. وكان لتلك العمرة الأثر الكبير في تحسن مستواه، وبعد رجوعه طلب مني إلقاء محاضرة في المدرسة التي يدرس فيها أبنائه فلم أتردد بالموافقة، وذلك بالتنسيق مع مطلقة التي كانت فرحه بهذا التغير.

● عيون حمراء

بعد مرور عام بدأنا نلاحظ عليه احمرار في عينيه، وهذه علامة من علامات تعاطي الخمر والحشيش فصارحناه بذلك، وكان يتعذر بعدم كفايته من النوم، و لكن هذه العلامة لم تكن تغادره أبداً، وبدأ الريب يتسرب إلينا، وزاد شكنا عندما صاحبنا في أحد الرحلات، فلاحظنا نومه طيلة مدة الرحلة، فازداد شكنا إلى درجة اليقين بأنه قد رجع إلى المخدر. وصارحناه هذه المرة بقوة فاعترف لنا بأنه قد رجع إلى الخمر، خاصة بعدما أكد لنا شقيقه الأكبر بملاحظة ذلك عليه، نصحناه بالإقلاع، وخوفناه بنتيجة ذلك، والخوف من غضب الله عليه، أبدى لنا تجاوباً ظاهرياً ولكن عملياً لم يبدو أي تغير، فطلبنا منه الابتعاد عن

الأنشطة حتى يقلع تماماً .

● وفاة أبناؤه

استمرت علاقتنا معه متقطعة، وضعيفة، وكلفنا أحد الأخوة بمتابعته من بعيد، وكانت الأخبار الغير سارة تأتينا عنه باستمراره، وإصراره، على طريق المخدرات، بل إنه حول بيته إلى وكر يجمع فيه المدمنين للتعاطي الجماعي. وبينما هو في هذا الانفصال عن الواقع، والهروب من الحق والإعراض عن التوبة، إذا بنا نصدم بحادث مرور يذهب بابنته الكبيرة وولده الكبير وظننا بأن هذا الحادث قد يكون سبباً في رجوعه إلى الله تعالى، ويكون هو الانعطاف الكبير في حياته إلى الخير والحق، ولكنه لم يكن كذلك.

فقد حاولنا استثمار هذا الحادث، وعاوننا الاتصال به وتذكيره بالله، وأبدى لنا كعادته التأثير الظاهري ولكننا لم نرى واقعاً على الأرض.

● واحسرتاه على أيام التوبة

التقيته في المسجد الذي تعودنا أن نقيم فيه النشاط الإيماني في العشر الأواخر من رمضان، ولاحظت عليه التأثير الكبير عندما سلم على إمام المسجد الذي كان يتحفنا بخواتمه الإيمانية، وقال لي : كلما دخلت هذا المسجد ورأيت هذا الإمام، أشعر بشعور جميل : إنه الشوق لأيام التوبة.

ولكنه عاد إلى ما كان عليه بعد انقطاع يسير، وأدمن على الخمر والحبوب، وعادونا المحاولة تلو المحاولة دونما فائدة.

وانقطعنا عنه، وانقطع عنا، حتى سمعنا في أحد الأيام بأنه فارق الحياة بجرعة زائدة.

لقد ابتسمت له الحياة، وفتحت له أبواب التوبة، ولكنه أصر على المضي في طريق المخدرات، ليستمر في حياة الضنك، ويموت في هذا الطريق، وهكذا هي حياة المصرين على هذا الطريق.

القصة الثانية

فريسة الكلاب

كنت في بداية عملي في «جمعية بشائر الخير»، ربما كانت السنة الأولى أو الثانية، بين ١٩٩٣ و١٩٩٤، وأثناء زيارتي لقسم التأهيل التابع لمستشفى الطب النفسي^(١)، التقيت بشاب في بداية العشرينات، واستغربت وجوده وهو في هذا العمر، فسألته عن سبب وجوده فقال لي : إنني مدمن.

على ماذا: هيروين.

تألمت كثيراً، وبدأت أنصحه، وأبين له خطورة هذا الطريق، وما سيصل إليه، ونهاياته الثلاثة المعروفة :

إما السجن أو الموت أو دخول المستشفى، هز رأسه متأثراً، ووعدني بالإقلاع، خرج من المستشفى، وسمعنا أنه فتح ديوانيه^(٢) خاصة للصغار للعمل معهم وإفسادهم، وكان أهل المنطقة يخشون هذه الديوانية، وبسبب معرفة أقاربه باتصالنا به، فقد اتصلت إحدى قريباته سألتنا عن تغيبه عن البيت ما يزيد عن

(١) أحد أنشطة جمعية بشائر الخير الأسبوعية

(٢) مجلس يتجمع فيه الأصدقاء أو الأقارب.

الأسبوعين، وكنا لا نعرف عنه أية معلومات، ولكننا وعدناها بالتحري عنه بكل ما نستطيع، ولكن الحيلة أعتنا عن العثور عليه، انشغلت أسرته فيه، كل يسأل عن تغيبه، وانقطع الأمل بالعثور عليه. وانقطعت أخباره تماماً عنا . . .

وفي صباح يوم من الأيام، وبينما كنت أتصفح إحدى الصحف، وإذا بخبر ينزل علي كالصاعقة. (جنود أمريكيان يعثرون على جثة نهشتها الكلاب في بر الدوحة) وبعد الفحص عما تبقى من الجثة، تبين أنها لذلك الشاب وتبين من التقرير أنه تعاطي مع بعض أصحابه فمات بجرعة زائدة، فألقوه في البر للتخلص من جثته، وإبعاد الشبهة عنهم.

هكذا هم أصحاب السوء، وخاصة المدمنين، لا وفاء ولا أخوة ولا صداقة بينهم، تجمعهم المصلحة، فإذا ما غابت تلك المصلحة كشر بعضهم أنيابه للآخر، وألقاه جثة هامدة . . وهكذا هي نهاية المصيرين على درب المخدرات . .

بأي وجه سيقابل الله يوم القيامة. ﴿وَفَقُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١).

القصة الثالثة

مولاي هون علينا

من عائلة ثرية، وأبوه كان أحد الأثرياء الكبار، من عائلة عريقة معروفة في الكويت، وكان هذا الأب من المدمنين على تدخين السجائر، إلا أنه كان لا يترك فرضاً من الفروض، وقائماً بما أمره به الله، ويحب العمل الخيري، ورجال الدعوة، وله صداقات كثيرة مع رجالاتها في الداخل والخارج. ومن الداعمين الأساسيين للعمل الخيري.

وفي غفلة من الأب، وتركه لهذا الابن للسفر وحده إلى دول العالم وهو في سن المراهقة، دون رقيب ولا رفيق، مع إغراقه بالمال، كان أحد أهم الأسباب لانحراف هذا الشاب، ثم الدخول إلى عالم المخدرات دون معرفة من الوالد ..

ولكن المدمن لا يمكن أن يستر على نفسه، فالمخدر فاضح لصاحبه ولو بعد حين، وعندما دخل هذا الشاب سن الزواج، أرادوا أن يزوجه لعله يعقل، ولكنه استمر في هذا الطريق، بل زاد، حتى وصل إلى درجة الإدمان.

مما اضطر والده وأسرته للاتصال بنا في «جمعية بشائر الخير» لنجدته مما هو فيه . . وذلك بعد ما بذل الوالد كل ما لديه من الطرق لإرجاعه إلى جادة الصواب، فقد ضربه ووبخه، بل وعزله في جزيرة بعيدة، بالاتفاق مع السلطات، ومع كل ذلك لم ينفع، وعاد الشاب للإدمان.

قابلنا الشاب، وكان من النوع المؤدب الذي يتأثر بالموعظة، ويقدر الناصح، إلا أنه كان ضعيفاً أمام سطوة المخدر، وثقنا علاقتنا معه، ودعواناه إلى برامجنا، فكان يتأثر حيناً، ويعود للمخدر أحياناً كثيرة.

كان تجار المخدرات يحومون حوله، لا يتركوه أبداً بسبب أمواله، وكان الضغط كبيراً منهم عليه وهو ضعيف جداً أمام إغراءاتهم.

حتى أن زوجته اتصلت بي يوماً وهي تبكي وتقول لي : ماذا أفعل فهاهو ساقط على وجهه أمامي وأمام أطفاله. وقد تحزم بحزام فيه إبر الهيروين، كلما أفاق من سطلته، أخذ إبرة ثانية، وهكذا، فهو في غياب دائم . . . ماذا أفعل، ماذا أفعل . . . وأخذت تبكي . . .

لم أستطيع فعل شيء، أمام هذا الموقف، واستمر الحال على ذلك، ولم يلبث كثيراً حتى قبض عليه، وحكم عليه بالسجن خمسة سنين.

نسيته تماماً، وأخذ أهله وأبناؤه يتنفسون الصعداء بعد تلك الأيام العصيبة، التي كانوا ينامون فيها على أعصابهم .. حتى دعيت من السجن لإلقاء محاضرة على سجناء الإدمان في عنبر التائبين، فتقدم شاب لي كثيف اللحية، وقال لي : أتعرفني ..

فقلت له : لا أعرفك ..

فقال : أنا فلان ..

فعرفته حالاً .. وتمنيت أن يدوم الحال الذي عليه من التوبة، والنور الذي يطفح من وجهه، وكان يردد عبارة جميلة فيها دعاء إلى الله وهي - مولاي هون عليّ - يرددّها مع أصحابه التائبين. ولأول مرة أسمعهم يتكلم بهدوء، وب عقلانية وب عبارات إيمانية عجيبة، فقد حفظ جزأين من القرآن، وبدأ يتذوق طعم الحياة الحقيقي من غير مخدر ..

وبعد سنتين أفرج عنه بما يطلق عليه (الإفراج المشروط) وهو نظام مستحدث تم الاتفاق عليه بين جمعية بشائر الخير، والنيابة العامة، وإدارة السجن، باستثناء سجين الإدمان في قضايا (التعاطي) عن بقية مدته، إذا نجح في برنامج التوبة، الموضوع من قبل جمعية بشائر الخير، وإدارة السجن، ووزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. وبعد خروجه وانضمامه إلى برنامج الرعاية اللاحقة وهو برنامج يبدأ بعد الإفراج، وتشرف عليه ووزارة الداخلية بفحص المفرج عنهم أسبوعياً للتأكد من خلوهم من المخدر، ووزارة الأوقاف بتثقيفهم الثقافة الشرعية، وجمعية بشائر الخير بالإشراف على سلوكهم، وإعطائهم الكثير من الدروس الإيمانية، ودورات تنمية المهارات. عاد ثانية إلى الحياة، وبدأ أبوه يثق به ثقة كبيرة، وكانت فرحته لا توصف، وكان الأب من فرحته يزورنا في بشائر الخير لحضور دروسنا، وكان يدعو الجميع لولائم الغداء أو العشاء وهو في فرح غامر بسبب توبة ابنه.

واستمر الحال على ذلك، وهذا الشاب من حسن إلى أحسن، حتى توفي والده . . وقد تأثر كثيراً بوفاته، وشعر بأن الحائط

الذي كان يسنده قد إنهدم وبدأ ينقطع عن برامجنا، وتضعف علاقته معنا، وعاد إلى ضعف إيمانية وعلاقته مع الله رويداً رويداً، خاصة بعد أن دخل في خلاف عميق مع بعض أقاربه، وحاولت الإصلاح بينهما وما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولكن دون جدوى، فكل منهما كان يصبر على موقفه، إلى أن تفاقم الخلاف، مما أثر عليه كثيراً، و زاد في ضعفه وضعف ارتباطه بنا، ثم انقطع تماماً عنا، وعن برامجنا وكان ذلك أول مؤشر لدخول منطقة الخطر، حيث لا ينفرد الشيطان ويقوى على الإنسان إلا حينما ينفك عن الجماعة التي تعينه على دينه، فكما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ**»^(١)، ثم جاءت النتيجة الطبيعية لمعظم التائبين من الإدمان ممن ينقطعون عن مصاحبة الصالحين، بأن عاد إلى المخدر على استحياء، ثم دخل تارة أخرى في دهاليزه، حتى جاءنا الخبر الصاعق . . لقد مات فلان، وحزنا عليه حزناً شديداً، ولكن ماذا نملك سوى أن نقول: ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ .

(١) رواه أحمد في مسنده ١٩٦/٥ وبدايته «وما من ثلاثة في قرية . . الخ» وحسن الألباني (ص.ج.ص ٥٧٠١)

وهكذا ينهي كل لحظات التوبة التي قضاها معنا، وهكذا يريح الشيطان معركة مع أحد بني آدم. وهكذا يترك وراءه زوجة وأبناء لا يملكون إلا ذكريات سوداء، ولا ندري لعل أحداً منهم لم يترحم عليه، لما عانوه منه طيلة عمرهم معه. ولم يذوقوا الراحة إلا أيام توبته التي لم تدم طويلاً . .

وهكذا يختار البعض طريق إبليس بمحض إرادتهم، ويرفضون الفرص التي يتيحها الغفور الرحيم لهم ليعودوا إليه، وسعة حلمه التي ليس لها حدود، ويصرون على سلوك طريق الضلال والعذاب، ليختاروا بذلك العذابين، في الدنيا والآخرة باختيارهم هم، وليس بإكراه من أحد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.



القصة الرابعة

المترجم

كنا في السنة السابعة من عمرنا في لجنة بشائر الخير قبل أن نشهر إلى جمعية، وعندما كنا نسكن في منطقة الروضة، دخل علينا شاب وسيم، أبيض مملوء، مربوع القامة، لبق في الحديث . . وكان ناوياً للتوبة ففرحنا به واحتضناه لتكون البشائر هي داره الأولى وليست الثانية . .

وبعد أن توثقت علاقتنا به، عرفنا بأنه يجيد اللغة الإنجليزية والعربية وأنه بالأصل يعمل مترجماً. مما جعلنا نخطط للاستفادة من خبراته لترجمة بعض المقالات والمحاضرات من اللغة الإنجليزية للعربية وبالعكس، وهكذا دائماً نحاول استغلال طاقات التائبين لشغل فراغهم، ولتنمية الثقة بأنفسهم، ولإشباع حاجة التقدير لديهم، وبهذا نضرب أكثر من عصفور في حجارة واحدة.

• كوخ خارج البيت

لم نستطع الدخول في جزئيات حياته، وهذا ليس بمقدرتنا مع كل التائبين، إلا من نجد من أسرته استعداداً للتعاون معنا، أو يكون هو من النوع المنفتح معنا، فيساعدنا في إصلاح ما أعوج منه بإذن الله تعالى. ومن خلال المعلومات القليلة التي تكونت لدينا، باتصال أحد الأخوة به، وزيارة المنزل الذي يسكن فيه، علمنا أن والديه وبعد مسيرة طويلة معه، ومحاولات مضنية في إثثائه عن الإدمان، يأسوا منه، ومنعوه من دخول المنزل، خوفاً على أبنائهم الآخرين، ومقاطعة منهم، بسبب إصراره على المخدر، بنوا له كوخاً من صفيح خارج المنزل، يعيش فيه بمنأى عن الاحتكاك بهم، ويعيش كما يعيش الخادم المعزول.

• حضور ثم انقطاع

تفاعل في البداية معنا، واستمر بحضور الأنشطة ولكنه ما لبث أن انقطع عنا، وحاولنا الاتصال به مرات ومرات دونما فائدة . . وانقطعت أخباره عنا ثم جاءنا الخبر بوفاته بجرعة زائدة في أحد المزارع في الصحراء وقد كان موثق اليدين. فارق الدنيا

بعيداً عن والديه وإخوانه وأخواته، محروماً من متعة الحياة الحقيقية من خلال عبادته للرحمن، وتمتعه بزيينة الحياة الدنيا الزوجة والبنين.

● اختيار دون إكراه

لا شك أن لكل قصة إدمان أسباب، ولكن مهما تعددت الأسباب، فيبقى الاختيار ملكاً للإنسان وحده، فلا يرغبك أحد أبداً على اختيار طريق الحق، و أو طريق الباطل. وأصحاب المخدرات اختاروا بمحض إرادتهم طريقاً ظنوا بأنه طريق المتعة، وعندما وقعوا في وسط هذا الطريق صعب على الكثير منهم اتخاذ قرار الخروج من دوامة المخدرات، وآثروا البقاء فيها حتى النهاية. والقليل هم الذين سبخوا ضد التيار بعد استعانتهم برب السماء، ثم بإخوانهم الصالحين فمدوا أيديهم لهم لينتشلوهم من ذلك العالم المظلم، إلى عالم النور.



القصة الخامسة

انتحار

ما أجمل الحياة لو كان الإنسان يعرف كيف يعيش فيها.
ما أجمل الحياة لو استطاع الإنسان أن يتوافق مع فطرته التي
فطره الله عليها.
ما أجمل الحياة لو أعطى الإنسان كل ذي حق حقه . .
ما أجمل الحياة لو حقق الإنسان ما خلقه الله من أجله . .
هذه الحياة على بساطتها أخطأ فهمها معظم الناس.
ففي نظر الكثير من الناس، الحياة ما هي إلا متعة يجب قضاء
كل لحظة فيها قبل فوات الأوان . .
وفي نظر الكثير من الناس أن هذه الجوارح التي وهبها الله
للإنسان يجب استهلاكها بهذه المتعة الحرام.
وقليل من الناس هم الذين فهموا هذه الدنيا ومعادلتها.

أدركوا أنها دار اختبار، خلقهم الله فيها من أجل غاية محددة. وهي العبادة، وخلق لهم هذه الجوارح لتعينهم على تحقيق ذلك الهدف، ولم يحرم عليهم التمتع بمتع الحياة. ما دامت في الإطار الذي حدده هو لهم، لا ما حدوده هم لأنفسهم، وبين لهم أن السعادة تكمن فيما حدده هو لهم، وأن الشقاء بمخالفته عما أمر، وباستخدام الجوارح في غير الطريق الذي أمر..

المدمنون جزء من شريحة هؤلاء الناس الذين ضلوا الطريق، وظنوا أن المتعة في مخالفة ما أمر الله تعالى، واستخدموا جوارحهم بغير ما أمر الله ظانين أن ذلك سيجلب لهم المتعة، وما أدركوا أن ذلك يجلب لهم الموت ..

نعم الموت هو نهاية المصيرين على المخدرات ...

وهذا يعني أن كل واحد منهم اختار طريق الانتحار.

وما صاحب قصتنا إلا واحداً من هؤلاء المنتحرين.

عرفني به أبو سعد أحد أعمدة بشائر الخير وأخبرني بأنه كان

صاحبه في طريق الإدمان، وصاحبه في عنابر الإدمان في السجن المركزي. وقد بدأ هذه الأيام الطريق إلى التوبة.

كان أبو سعد فرحاً بقدوم صاحبه لنا، وسلوكه طريق التوبة، وقد كان حريصاً على هدايته . .

فتحنا له أبواب بشائر الخير، وأتحننا له العمل معنا، وبدأ يتفاعل معنا، ويزداد التزاماً يوماً بعد يوم. وفرح أبوه فرحاً كبيراً، وأخوه الذي يصغره والذي كان ملتزماً، بل فرح كل أفراد أسرته . .

جلس معي مرة، وحدثني كيف حولته المخدرات إلى وحش كاسر مجرد من أي شعور آدمي، وكيف كان يتعامل مع زوجته، وأبنائه الصغار، حتى أن ولده الصغير الذي لا يتجاوز الخمس سنوات. دخل عليه يوماً يريد اللعب معه، وكان في حالة اللاوعي، بعد تعاطيه لإبرة الهيروين، فطرده من الدار، ولكن الطفل أصر على اللعب معه، فما كان منه إلا أن أمسك برأسه وفتح فاه بأصبعيه وأدخل زجاجة الخمر فيه وأشربه رغماً عن أنفه. فما كان من الطفل إلا أن وقع غائباً عن الوعي، ولم تؤثر

فيه هذه الحادثة، بل هذه جريمة صغيرة تتضاءل مع الجرائم التي يقتربها المدمن مع زوجته وأبنائه ووالديه وأقاربه والناس أجمعين.

كان يحدثني عن هذه الحادثة وهو نادم عليها، بل ويتذكرها بحسرة.

استمرت علاقتنا معه وطيدة، حتى بدأ التخلف في حضوره للأنشطة. فشممنا رائحة الانتكاسة.

بل وتأكدنا منها، فقررنا مقاطعته ليشعر بغضبنا عليه وبعد فترة ندم على ذلك، وعاد إلينا ثانية واستمر معنا على هذه الحالة. حتى طلب منا مساعدته في الزواج من زوجة جديدة بعد أن طلق زوجته الأولى، فساعدناه على ذلك وذهبت شاهداً مع أبي سعد في وزارة العدل، واحتفلنا إحتفالاً صغيراً بزواجه. ما لبث أن أعدنا له حفلة زواج أكبر منها ودعونا الجميع لحضورها، فقد كانت فرحة من فرحات جمعية بشائر الخير بأحد أبنائها التائبين، ومرت سنة كان يعيش فيها أجمل أيام حياته، ورزق من الزوجة الجديدة بمولود جديد، واستمرت حياته على وتيرة واحدة..

حتى حصل من أبيه على حقه من بيع عقار قديم مبلغاً كبيراً . . . فعاد الشيطان زائراً مرة ثانية ليغريه بالعودة إلى الماضي الحزين، ولبي وللأسف الشديد دعوة إبليس الذي أقنعه بالهجرة إلى أحد بلاد المغرب العربي ليشتري عقاراً ويتزوج من هناك، ليستمر بالتعاطي في بلد يغرق بالمخدرات . . . وفعلاً نفذ ما أراد منه إبليس، وسافر دون أن يخبرنا، تاركاً زوجته في الكويت من غير عائل يعولها . . . ووصلت لنا الأخبار التي لا تبشر بخير، فقد اقترن بواحدة ما كانت تريد منه إلا المال . . .

وحاولت زوجته التي في الكويت أن تزوره لعلها توقف الانتحار الذي تسابقه قدماء إليه. وبعد أن وصلت إليه حاولت بكل ما تملك من قوة أن تثنيه عن المخدر، دون فائدة، فرجعت إلى الكويت . . . ولما أحس أن زوجته الثانية لا تريد الخير له، قرر العودة للكويت ولكن بعد ما تحول إلى شبح ليس عليه من اللحم إلا القليل ومن العقل إلا ذرات قليلة.

عاد إلى الكويت، وحاول فيه رجال البشائر نصيحته، دون فائدة، وما هي إلا أسابيع قليلة حتى سمعنا بوفاته بجرعة زائدة.

هكذا ينتحرون الواحد تلو الآخر.

وينسفون أيام التوبة الجميلة مقابل إبرة الموت.

ولم يتبق له من ذكريات سوى صوراً التقطناها معه عندما كان
يحضر بعض برامج البشائر، وعندما نراه لا نقول إلا غفر الله له.



القصة السادسة

اصطدام بعد صلاة الفجر

في فجر يوم من أيام الصيف، وقبل خروجنا من المسجد بعد صلاة الفجر، سمعنا باصطدام سيارة قرب المسجد، هرعنا حيث الصوت، فرأى أحدنا شاباً يجري من بعيد هارباً من السيارة، ويدخل بين البيوت حتى توارى عن الأنظار، ذهبنا إلى السيارة فوجدناها قد اصطدمت بسيارة متوقفة على الرصيف، والمفاجأة أننا وجدنا شاباً ممتلئاً قد سقط خلف المقاعد الأمامية عند مكان الأرجل دون حراك.

سارعنا بالاتصال بالنجدة، وبعد فترة قليلة جاءت النجدة ومعها سيارة الإسعاف، فقاموا بالكشف على الشاب الملقى خلف المقاعد، فوجدوه قد فارق الحياة منذ ما يقرب الساعتين، ولم نعرف سر هذا اللغز. وبعد نقل الجثة إلى الفحص الجنائي، تبين أنه قد توفي بجرعة زائدة، و بالتحري عرفوا شخصية قائد السيارة الفار ..

أخبروني باسم الشاب المتوفى، واسم الشاب الذي كان يقود

السيارة، وعرفت بأن قائد السيارة هو ولد أحد الآباء الذين نتعامل مع ابنه الأكبر منذ فترة، وهو من خيرة الشباب التائبين، وكان يخبرنا بأن له اثنين من إخوانه قد سلكا طريق المخدرات، وبسبب هذه العلاقة اتصل والده بي يستشيرني بأمر ولده الفار، فنصحته بأن يسلم نفسه للمخفر، لأنه مطلوب، وسوف يقبضون عليه عاجلاً أم آجلاً، والأولى له أن يسلم نفسه.. وإذا لم يكن مشتركاً في جريمة القتل فسوف يطلق سراحه.. وبالفعل أخذ النصيحة وأقع ولده بذلك.. وسلم نفسه للمخفر.

● اعتراف

في المخفر وأمام المحقق تبينت خيوط اللغز، لقد كانوا في تلك الليلة سوياً يتعاطون الهيروين وقد غرس الشاب المتوفى إبرة الهيروين في يده، وما لبث أن سقط بينهم مفارق الحياة. دب الذعر بينهم، ماذا عساهم يفعلون، أو يتصرفون فاتفقوا أن يأخذه ذلك الشاب في سيارته، ويلقيه في أي مكان بعيد عن مسرح الجريمة، ولكنه وبسبب الارتباك اصطدم بتلك السيارة المتوقفة عند أحد البيوت، مما كشف الأمر. وبعد تكشف هذه الحقيقة،

أطلق سراحه بكفالة .. هكذا هو حال المدمنين لا أخوة بينهم، وإذا ما مات أحدهم يلقونه في حاويات الزباله، أو خلف محولات الكهرباء، أو مع بقايا البناء، وفي أحسن الحالات يلقون بجثته على أرصفة المستشفيات. ثم يلوذون بالفرار، صداقتهم وأخوتهم بهذا المخدر، فإذا ما غاب انقطعت كل صلة.

● لقاء في العشر الأواخر

أحد أنشطة جمعية بشائر الخير الرئيسة، هو استغلال الاعتكاف الرمضاني في العشر الأواخر من رمضان، وعادة نتقي النوعيات المتميزة لمشاركتنا، ولكن لا يمنع أن يعتكف معنا أحياناً بعض التائبين ممن لم يتم اختيارهم، رغبة في الاستفادة، وأحياناً يجلب بعض الأهالي أبنائهم ليلتحقوا بنا بعد استشارتنا.

وفي أحد الرمضانات التقيت في العشر الأواخر بشاب صغير اكتشفنا أن أباه قد أتى به إلينا، ليكون برنامج الاعتكاف معيناً له على الإفلاع. جلست معه، وبدأنا نتجاذب أطراف الحديث فاكشفت أنه هو الذي اصطدم بالسيارة المتوقفة.

وكانت مفاجأة لي، فسألته التفاصيل، فأكد لي ما ذهبنا إليه، وزاد أنه قبل الاصطدام كان في حالة إدمان شديدة، وكان مرتبكاً، وخائفاً، مما جعله لا يتبين الطريق. الأمر الذي سبب له الاصطدام.

● ضحية الوالدين

تبين لي بعد الحديث معه، أنه أحد ضحايا الإهمال التربوي للوالدين، وبالأخص الوالد، فقد كان أبوه مدمناً على الخمر، وكان مهملاً البيت إهمالاً كاملاً وزيادة على ذلك، كان إذا جاء بالليل يضرب أمهم أمامهم بالسوط، وكانوا يعيشون صرخات الأب المخمور، وصرخات استغاثة الأم المسكينة تحت مخالب ذلك الوحش الكاسر، مما جعلهم يهربون من هذا الواقع ليستنشقوا الهواء النقي البعيد عن ذلك الاضطراب، مما أوقعهم بين مخالب رفقة السوء هو وأخوه الأكبر ابتداءً من التدخين، وانتهاءً بإبر الهيروين.

وبعد أن وقع الأبناء الثلاثة في المخدرات، صحى الأب متأخراً من غفلته بعد فوات الأوان، وحاول الإصلاح بكل ما

يستطيع، نجح مع الأكبر بعد اتصالنا به، ولكنه فشل مع صاحب القصة الذي يعتكف معنا، وأخاه الآخر، هذه هي القصة التي تتكرر مع عشرات الآلاف من مدمني العالم، قدوة سيئة من الوالدين، بالإضافة إلى التخلي عن الدور التربوي، مما يجعل فراغاً تربوياً عند الأبناء، يعوضونه من مكان الخطأ.

كنت استرق النظرات لذلك الشاب الصغير فأرى علامات الطفولة ما زالت مرتسمة على محياه، فأقول في نفسي، أي جرم اقترفه الأب ليحيل هذا الصغير إلى عالم الإدمان!!؟

وأقول في نفسي، هل يدرك الآباء والأمهات خطورة الإهمال التربوي، وما يمكن أن يسببه من دمار للأبناء!!؟

● عاد من حيث كان

انتهى رمضان، وانتهى معه اتصاله بنا، وحاولنا الاتصال به ولكن دون جدوى، وكنا نتصل بأخيه الأكبر الذي استمر معنا في طريق التوبة، وينقل لنا الأخبار بعودة أخيه للمخدر ثانية، وبعد فترة ليست بالطويلة، سمعنا بخبر وفاته بجرعة زائدة وهو في عمر الزهور.

القصة السابعة

بطل الكاراتيه

تعرفت عليه في بدايات العمل داخل مستشفى الطب النفسي، عام ١٩٩٣، حيث كنا نعمل تحت غطاء لجنة التوعية الاجتماعية، قبل أن نتحول إلى لجنة بشار الخير، ثم جمعية بشار الخير. كان رجلاً في العقد الخامس من عمره، قد خطت السنون أخا ديها في وجهه الأسمر فأحالتها كهلاً لا يصدق المرء إلا أنه أمام رجل تجاوز السبعين، بالرغم من عدم تجاوزه للعقد الخامس. كان أحد أبطال الكويت في الكاراتيه، والذي يشاهد صورته وهو يقفز برشاقة، وقد أفرد يده، ورفع أحد قدميه أعلا من رأسه، لا يصدق أنه صاحب الصورة، ذلك قبل أن يدخل عالم المخدرات.

● بداية التعارف

بعد إقائنا لموعظتنا الأسبوعية في مستشفى الطب النفسي - قسم تأهيل المدمنين - تقدم إلينا أربعة من مرضى الإدمان، وأبدوا تأثيراً كبيراً، وتفاعلاً واضحاً، ثم عاهدونا على التوبة،

وكان صاحبنا هذا أحد هؤلاء الأربعة الأوائل في مشوار عملنا مع المدمنين.

انتظرنا خروجه من المستشفى، وتعرفنا على عنوانه وهواتفه وما أن خرجنا حتى اتصل به رجال البشائر، ومن ثم دعونا إلى أنشطتنا فلم يمانع، بل استمر معنا ما يقارب العام، حتى خرج معنا في عمرتنا الأولى مع زوجته، وكانت الفرحة تملؤه و زوجته لا تكاد تصدق ما ترى أمام عينيها، وبعد عودتنا، زادت رابطة بنا، ثم جاء موسم الحج وأخذناه معنا.

● ولده يمرض

انقطع عن الحضور للأنشطة، و قمنا بالاتصال به للاطمئنان على صحته، وثباته، واتفقت مع بعض الأخوة في البشائر لزيارته في البيت، واستقبلنا في بيته، ولاحظنا الحزن عليه بسبب مرض ولده، وكان مهموماً لعدم معرفة الأطباء بمرضه، وكان يبحث عن من يساعده لإرساله للعلاج في الخارج بسبب حرج حالته، وتم له ما يريد، فقد وجد فرصته لمرافقة ولده للعلاج في لندن.

● انتكاسة في لندن

وبدل أن يكون مرافقاً لولده الذي يعاني من وضع حرج للغاية، انتكس هو، في لندن وعاد لإدمان الخمر، و انغمس فيها، وترك ولده مع زوجته الكبيرة بالسن، والتي لا تعرف اللغة الإنجليزية، وحدها تعاني هذه المهمة الصعبة، واستمر في هذا الضياع هناك، واستمرت زوجته تعاني، حتى انتهى العلاج، وعادوا إلى الكويت.

● نهاية

لم يستمر طويلاً بعد عودته من لندن، فقد وجدوا جثته متسلخة، ومتفوخة في الصحراء، بعد موته بسبب الإدمان.

تفتح لهم أبواب الخير على مصراعيها، ويمد لهم أهل الخير والدعاة أيديهم ليتشلوهم من مستنقعات المخدرات الآسنة، ولكنهم يصرون على البقاء في تلك المستنقعات حتى الموت.

لقد انتهت البطولات والأوسمة وكؤوس النصر واستبدلها بأوسمة السقوط أمام شهوات النفس وبالضربة القاضية أمام إغراءات إبليس.

القصة الثامنة

وسقط بعد الالتزام

كل القصص الواقعية التي وردت في هذا الكتاب لشباب ورجال لم يلتزموا الالتزام الحقيقي، ولم يرتبطوا بجمعية بشائر الخير الارتباط الصحيح، ولم يتوبوا إلى الله التوبة النصوح الواضحة المعالم.

إلا صاحب قصتنا هذه، فقد التزم التزاماً حقيقياً وتاب فيما يبدو لنا توبة حقيقية، والله حسيبه.. فنحن نعرف من خلال تجربتنا بالعمل مع المدمنين مظاهر التوبة والالتزام الحقيقيين، والتي منها الالتزام ببرامج جمعية بشائر الخير، والمبادرة في الحضور، والمشاركة بكل الأنشطة، وظهور التقدم والتطور السلوكي والنفسي والديني، فتراه حريصاً على صلوات المسجد الخمسة، وقائماً بصلة الأرحام، وخاصة والديه وزوجته وأبنائه والكثير من الأعمال الصالحة، كقيام الليل، وصيام النوافل، وغيرها من المظاهر الواضحة ..

كان أحد أفراد الجيش، ودخل هذا العالم المظلم، وهو في

سن مبكرة، وكان أحد الأسباب الرئيسة، طلاق أمه من أبيه، ومرض أبيه الذي أقعده الفراش سنين طويلة، فأصبح من غير مراقبة من أحد إلا الله، مما هبى له جو الانحراف، خاصة أنه كان يعيش في منطقة موبوءة بالمخدرات، وموزعيها ..

بدأ بالتدخين في سن مبكرة جداً، وتعرف على أصحاب السوء في منطقته وعلموه، وكان مهيناً لذلك، حيث تعلم كل فنون الفساد، من نساء وخمر ومعاكسات، ثم ختمها بالمخدرات، وتعمق فيها حتى أدمنها، مما اضطره لدخول المستشفى بعد أن تعرض للموت بسببها.

تعرف عليه أحد الأخوة في جمعية بشائر الخير في المستشفى، وتأثر ذلك الشاب بأخلاق ذلك الداعية، وأرتبط بنا ارتباطاً قوياً، خاصة عندما كنا في بدايات العمل، في السنوات الأولى من تجربتنا.

أطلق لحيته، وتغيرت عباراته، وانغمس في عملنا في الجمعية انغماساً جعله كأنه أحد مكوناتها الأساسية، لا يترك نشاطاً، ولا برنامجاً، ولا رحلة إلا كان أول المبادرين لها. بل إنه كان يأتينا

أثناء الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان مباشرة من معسكره، ولباسه العسكري إلى المسجد دون الذهاب إلى بيته ناوياً الاعتكاف، وكذا كانت همته في الحج والعمرة، فقد رافقنا ثلاث سنوات متتاليات حجاً وعمرة.

في إحدى تلك الزيارات جلس معي على عتبة أحد مطاعم الفلافل أمام الحرم، يعرض عليّ قصته من الضلال إلى الهداية، ووجهه يشرق نوراً وهداية واطمئناناً، وهو يضحك على الأيام التي مضت، ويحمد الله على الهداية ..

مضت الأيام، وهو يزداد التزاماً يوماً بعد يوم.

● وفاة والده ..

جاءنا خبر وفاة والده، وانشغل بوفاته كثيراً، حيث كان لأبيه بعض الحلال في المملكة العربية السعودية. فذهب هناك يتابع ذلك الحلال، وكان كثير التنقل بين السعودية والكويت، واستغرق ذلك ما يزيد على الثلاثة أشهر انقطع خلالها عنا تماماً ...

اتصلت زوجته بنا لتخبرنا برجوعه للتدخين. فانزعجنا لذلك الخبر، ووضعنا أيدينا على قلوبنا، حيث يدل ذلك عندنا على بداية الانتكاسة، وبدأ يتردى حاله، ويتهرب عنا كلما حاولنا الاتصال به، حيث كان العذر جاهزاً - أنا مشغول لجمع حلال والدي، ثم ما لبث أن جاءتنا الأخبار بأنه قد عاد إلى المخدرات...، وبدأنا بتكثيف الاتصال به دونما فائدة..

● قدم أثناء الانتكاسة :

وفي ليلة من الليالي، وإذا به يدخل عليّ وأنا في مكتبي في «جمعية بشائر الخير» في مقرنا القديم في منطقة الروضة، وهو شاحب الوجه، منطفئ النور، ولم تبدو عليه تلك الإشراقة الإيمانية التي كنا نراها في وجهه ..

وتقدم إليّ وعانقني، وقال لي بصوت متعجد "سامحني يا شيخ .. هل تقبلون عودتي، قلت له : كيف لا نقبلك، فأنت الذي تركتنا وباب التوبة مفتوح، وقلوبنا دائماً مفتوحة قبل أبوابنا .. " هذا ما كنت أقوله لكل تائب فوعدني بالتوبة وبالعودة للبشائر، ثم غادر المكتب وانقطعت أخباره ثانية.

● بداية النهاية :

كنت فرحاً بعودته، وندمه، وزيارته لنا وكنت متأملاً أن يعود لرشده، ولسابق عهده معنا، ولكن للأسف، فقد انقطعت أخباره ثانية عنا.

وباءت محاولتنا للاتصال به بالفشل..

وفؤجئنا بخبر منشور في الصحافة اليومية، العثور على جثة شاب في الثلاثينات متعفنة في سيارة في بر الصليبية ..

لم نكن نعلم من ذلك الشاب .. ولكن لم تلبث عقارب الساعة بالتحرك كثيراً حتى جاءتنا الأخبار بأنه كان هو المقصود.

● نهاية مبكية :

عندما علم أعضاء البشائر بالخبر، نزل عليهم ذلك الخبر نزول الصاعقة، وهزهم هزاً عميقاً، وانحدرت الدموع من عيونهم حزناً عليه، فقد كانت موته هي الأولى ضمن الملتزمين في تاريخ البشائر، وعادة فإن عدد المنتكسين لدينا متدن كثيراً بفضل الله، مقارنة بالنسبة العالمية، أما الذين يموتون بجرعة زائدة من

الملتزمين فكانت وفاته هي الأولى بتاريخنا لذلك كان وقعها
كبيراً على أعضاء البشائر ..

● مشواه الأخير :

أخبرت بموعد دفنه، وسارعت إلى المقبرة مع رجال البشائر،
وحملناه على الأكتاف، وشككت بأنه ليس هو وقلت للأخوة،
هل الذي نحمله على أكتافنا هو هو .. أكدوا لي بأنه هو.

وقلت في نفسي .. لا يمكن أن يكون هو ..

فإنني أعلم أنه كان نحيفاً، وذو جسم رياضي متناسق ولكن
الذي أحمله سمين، وضخم ..

ولما بينت تساؤلاتي للأخوة .. قالوا لي أنه هو، ولكنه منتفخ
.. زاد ألمي .. وحسرتي وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ..

هذه هي نهاية من يصر على العودة إلى هذا الطريق ..



القصة التاسعة

كانوا ثلاثة

في السنين الأولى من عملنا في جمعية بشائر الخير اتصلت بنا أم لثلاثة أبناء، أخبرتنا بأن الأول تعرف على أصدقاء سوء، وتأثر بهم فتعاطي المخدرات، وما لبث كثيراً حتى مات، وحزنت عليه حزناً كبيراً.. ثم اكتشفت أن أخاه الذي يصغره كان قد تأثر به وبدأ مشوار التعاطي ثم الإدمان وحاولت يميناً وشمالاً دون جدوى فأفلت من بين يديها، وغادر الحياة بجرعة زائدة. في تلك الأثناء لم تكن تعلم بوجود جمعيتنا، فأخبرها البعض بوجودنا، الأمر الذي جعلها تترجانا والحزن يملؤها بأن ندرك الابن الأخير قبل أن يكون هو فاجعتها القادمة.

جاء ابنها الشاب لنا، وهو في مقتبل العشرينات، ممتلئ الجسم، شارد الذهن، لا يركز أثناء الحديث ولا أثناء الاستماع، فهو كتلة من اللحم دون أي صفات إنسانية.

عرفنا فيما بعد أنه مدمن لنوع من أنواع حبوب الهلوسة التي لها تأثير كبير على خلايا المخ، والإدراك، قابلته عدة مرات،

ونصحته طويلاً، وذكرته بالآخرة، وبرسالته في هذه الدنيا، عرفته بأن قيمة الإنسان تكمن في اتصاله بالله، وليس بهذه المخدرات، وأن السعادة تتلخص بالقيام بما أمر به الله تعالى، ولكن دون فائدة.

تابعه الأخوة المربون في بشائر الخير وكل منهم يذكره بالله، ويقدم له النصح الأخوي، خاصة من بعض المربين ممن تابوا من طريق المخدرات، فأصبحوا قدوات يقتدي بهم، ويهدي الله على أيديهم الكثير من المدمنين.

بعد مشوار ليس بالقليل قضاه مربوا البشائر معه، أرسل لي رسالة يطلب مني فيها أن أتوسط له لصرف بعض الحبوب كعلاج لحالته. وهددني فيها بأنني إذ لم أقوم بهذه الوساطة فإنه سينتحر، صدمت لهذه الرسالة، ولما فيها من عجائب النفس البشرية عندما تنحرف.

فكرت في حل لهذه الحالة المستعصية، خاصة بعدما عرفت بأن هذا الشاب يتناول كمية كبيرة من تلك الحبوب، والتي تجعله في حالة انفصال تام عما يجري من حوله. وهذان يحير العاقل

عند سماعه. وهداني تفكيري للاتصال بالدكتور عادل الزايد المتخصص بالطب النفسي ومعالجة المدمنين، ورجوته الجلوس مع هذه الحالة لإقناعه بالإقلاع، واستجاب جزاه الله خيراً، وتم اللقاء مع ذلك الشاب. اتصل بي بعدها الدكتور عادل، وهو متعجب مما رآه، يقول لي: جلست معه قرابة الساعتين وأنا أقنعه بكل ما أوتيت من علم، وبينت له خطورة تلك الحبوب وأثرها على حياته وعقله .. وبعد أن انتهيت من تلك الجلسة الطويلة طلب مني أن أعطيه تلك الحبوب ..

حينها أدركت أن ذلك الشاب ليس في دائرة الإدراك الطبيعي .. ولم يمضى على ذلك اللقاء الكثير حتى سمعت من أحد أفراد جمعية بشائر الخير بأنه توفي بجرعة زائدة، وفجعت تلك الأم المسكينة بثالث أبنائها يموت في طريق المخدرات، تلك الآفة التي بدأت تبتلع أبنائنا وبناتنا في حين غفلة من الوالدين اللذين يشكلان السبب الرئيسي في انحراف الأبناء نحو هذا الطريق المظلم، والذي يؤدي حتماً إلى الموت أو السجن أو المصحات النفسية، أو الجنون. فهل يستوعب الوالدين هذا الدرس ويرجعوا ثانية إلى البيوت بدل أن يجعلوها فندقاً للنوم فحسب !!!

الباب الثالث

أسباب الثبات

- ☐ ترك التدخين نهائياً.
- ☐ الصلاة في المساجد.
- ☐ ترك أصحاب السوء تماماً.
- ☐ مصاحبة التائبين والمتدينين.
- ☐ الدعاء المستمر.
- ☐ أداء الفرائض والنوافل.
- ☐ شغل الفراغ.
- ☐ زيارة المقابر والمستشفيات.
- ☐ المجاهدة.
- ☐ تجديد التوبة والاستغفار.
- ☐ الخاتمة

أسباب الثبات

كما أن للانتكاسة أسباب ذكرناها في بداية هذا الكتاب وفي ثنايا هذه القصص التي عايشتها مع أصحابها، كذلك للثبات أسباب من بذلها كانت سبباً في ثباته، ومن خلال خبرتنا مع المدمنين، وبالرغم من اشتراكهم في أسباب الثبات مع الآخرين من غير المدمنين إلا أن لهم من الأسباب مع يخصصهم، ويشكل عاملاً رئيسياً في ثباتهم، ومن أبرز هذه الأسباب :

ترك التدخين نهائياً

لماذا نركز على التدخين دون سواه؟؟ ذلك أن التدخين للمدمن يعني الكثير، ويشكل عاملاً خطيراً في رجوعه للمخدر ثانية، والسبب في ذلك تشابه تدخين السجائر مع تعاطي المخدرات، فهو يشبهها في مسك السيجارة، ونفث ما فيها من دخان، وإشعالها، وعندنا القاعدة تقول. أن من لم يستطع مقاومة تدخين السيجارة، والإقلاع عنها، فإنه يكون أكثر قبولاً

للإنتكاسة من غيره .. لذلك نركز كثيراً على الإقلاع عن التدخين. ولا بد من ربط ذلك بحرمة التدخين كما أفتى بذلك الأعلام من العلماء، والمجمعات الفقهية في العالم الإسلامي.

وفي جمعية بشائر الخير، أفضل التائبين، وأبرزهم أولئك الذين أقلعوا عن التدخين، ومعظم الذين انتكسوا كانوا من المدخنين، أو أنهم عادوا إلى التدخين قبيل الانتكاسة.



الصلاة في المساجد

من أكبر أسباب الثبات المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، وفي المساجد، وخاصة صلاة الفجر، ولا يمكن أن يثبت تائب من غير صلاة، كما أنه لا يمكن أن يقوى على توبته من غير صلاة في بيوت الله تعالى.

يقول تعالى في سورة النور ﴿فِي بُيُوتٍ إِذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ بَحْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١)

ويقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» (٢)

والالتزام في المساجد دليل على صدق التوبة، وقد جاء في الحديث أن من الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله

(١) سورة النور الآيات ٣٦-٣٧

(٢) رواه مسلم (٨٢).

«ورجلٌ قلبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسْجِدِ»^(١)، أي أنه يظله من الشمس الحارقة عندما تنزل على الرؤوس يوم القيامة.

ولا بد أن يعلم التائب بأن صلاته في المسجد جماعة تعدل صلاته في البيت وحده بضع وعشرين مرة كما جاء في صحيح البخاري «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةُ الْفَذِّ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(٢).



(١) رواه الترمذي وصححه الألباني (ص.ج. ص ٣٦٠٣)

(٢) رواه البخاري (٦٤٥).

ترك أصحاب السوء تماماً

مقاطعة أصحاب السوء ممن كان يتعاطى معهم، مقاطعة تامة سواءً بالمكالمات الهاتفية، أو الزيارات، أو المراسلات في رسائل الهاتف، وغيرها من أنواع الاتصال، وإذا ما أراد دعوتهم، فلا يذهب إلا مع دعاة قدامى، وليس وحده، وبعلم ممن يشرفون عليه في التربية، فالصاحب ساحب والشيطان قد يدخل على المرء من صاحبه، والتضحية من أبرز صفات التائبين.



مصاحبة التائبين والمتدينين

فالضعيف إذا صاحب ضعيفاً مثله فإنه يضعف، وإذا صاحب القوي يقوى بقوته، والرسول ﷺ يقول لنا: «الرجل على دين خليله فليَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مِنْ يُخَالِلُ»^(١) أي أن المرء يتأثر بمن يصاحبه، فليختر أحدكم الأقوياء التائبين الذين يتأثر بهم. وهذه الأخوة في الله هي التي تعين التائب على مواصلة الطريق، والصبر على مصاعبه، كما أن الصالحين خير من يقف مع التائب عند الملمات، وهم ليسوا مثل أولئك العصاة الذين إذا مات عندهم أحد بجرعة زائدة رموا جثته في حاوية الزباله، أو على قارعة الطريق . . .

والأخوة في الله هم الذين يشفعون لك يوم القيامة، وهم الذين تساق معهم من القبور إلى أرض المحشر وحتى دخول الجنة، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٢)

(١) رواه أبو داود وحسنه الألباني (ص.ج.ص ٣٥٤٥)

(٢) سورة الزمر آية ٧٣

الدعاء المستمر

يقول الرسول ﷺ: «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، وهذا يعني اعتقاد العبد بأن الله قادر على أن يضر أو ينفع، وهو الذي بيده إزالة الكربات، وجلب المنافع، لذلك يتوجه إليه بالدعاء، وما الدعاء إلا تجسيد لهذه المعاني. فمن أبرز أسباب الثبات دعاء التائب بالثبات، والإخلاص، وحسن الخاتمة ويكثر من دعاء الصالحين (اللَّهُمَّ حُبِّ إِلَيَّ الْإِيمَانُ وَزِينَةُ قَلْبِي، وَكَرِهَ إِلَيَّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الرَّاشِدِينَ)

ويدعو «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ وَبِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»، ويدعو وهو مستيقن بالإجابة كما أوصانا بذلك النبي ﷺ حيث قال: «أَدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دَعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ»^(٢).

وعلى التائب أن يتخير أوقات الإجابة، أثناء المطر، وعند

(١) رواه احمد، وصححه الألباني (ص.ج.ص ٣٤٠٧)

(٢) رواه الترمذي، وحسنه الألباني (ص.ج. ص ٢٤٥)

المرض والسفر، وأدبار الصلوات، وقبيل الإقامة، والتماس
دعاء الوالدين، والصالحين. وألا يستعجل الإجابة، وأن يكثّر من
الإلحاح في الدعاء لأن الله يحب من عبده ذلك.



أداء الفرائض والنوافل

يقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

مما يدل على أهمية أداء الفرائض لأنها أحب شيء افترضه الرب على العبد، فإذا ما أتمها وزاد عليها بالنوافل فإنه يصل إلى درجة محبة الله له ومن ثم تيسير الأمور الدنيوية والأخروية له.

وأهم الفرائض هي الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم يلي ذلك بر الوالدين والابتعاد عن المعاصي، ثم يعقب ذلك قائمة طويلة من أداء النوافل، كالأذكار، وقراءة القرآن، والصدقات، وصلوات النافلة، وصيام النافلة، ومساعدة الضعفاء ... الخ.

(١) البخاري (٦٥٠٢).

شغل الفراغ

الفراغ من أهم وأخطر الطرق التي يدخل منها الشيطان على ابن آدم، فلا بد للتائب أن يشغل فراغه مما يعود عليه بالخير، كزيارة الأرحام، والرياضة، وزيارة الأخوة في الله، وتنظيم الرحلات للأبناء أو الوالدين وصيد الأسماك، والقراءة، والاستماع ومشاهدة البرامج النافعة، والقيام بالبحوث والمشاركة في الأعمال الخيرية في الجمعيات الخيرية، وغيرها الكثير من المباح بشرط ألا تشغل التائب عن فرض من الفروض.



﴿ ٧٣ ﴾ زيارة المقابر والمستشفيات

يقول الرسول ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فزورُوها، فَإِنَّهَا تُرَقِّقُ الْقَلْبَ، وَتُذَمِّعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»^(١) فزيارة القبور تذكّر في المصير، وتوقف الإنسان عن الغرور، وتحثه على زيادة العمل، خوفاً أن يدركه الموت، وتحثه على التوبة النصوح، لئلا يكون مصيره إلى التراب ولم يتخلص من ذنوبه بعد، كما توقف كبرياءه، وترجعه إلى الجادة الصحيحة. لذلك حثنا الرسول ﷺ على ذلك - كما أن زيارة المستشفيات تذكّرنا بنعمة الله علينا، فتدفعنا لشكر هذه النعمة، بالتوجه إليه.



(١) رواه الحاكم في المستدرک، وصححه الألبانی (ص.ج.ص ٤٥٨٤)

المجاهدة

إن من أصعب ما يواجهه التائب هو نفسه التي تدعوه للسوء، حيث يقول تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١)، وما أن يضع قدمه في طريق الإيمان حتى يشتد عليه الشيطان، يزين له طريق الغواية القديم، ويرغبه فيه، ويشككه في بديهيات الأمور، ويسهل عليه المعصية، ثم تأتي الدنيا ترغبه فيها، وتذكره برغد العيش القديم في المعصية، والفقر في حياة التوبة، ويأتي بعد ذلك الهوى يجمل في عينه المعصية، ويقبح فيها الطاعة. وكل ذلك يحتاج إلى مجاهدة عنيفة للتصدي لهذه الجواذب الأربعة التي تريد صرفه عن الصراط المستقيم . . والصبر الكبير على الطاعات، والصبر عن المعاصي والصبر على الأقدار. ومن زاول هذه المجاهدة منحه الله الثبات والهداية. حيث وعد الله تعالى المجاهدين لهؤلاء، رغبة فيما عند الله، بالهداية إذ يقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)

(١) سورة يوسف آية ٥٣

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٩

يقول الإمام ابن القيم تعليقاً على هذه الآية في كتابه :
" الفوائد " (علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية
أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى،
وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد الأربعة في الله هداه
الله سبل رضاه، الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من
الهدى بحسب ما عطل من الجهاد) وجميع الطاعات تعين التائب
في مجاهدته، ومخالطة الصالحين وطلب نصيحتهم، والتواصي
على الخير والصبر، من أهم ما يعين التائب على جهاده.



تجديد التوبة والاستغفار

ويجب على التائب أن يتذكر أن التوبة ليست مطلوبة عند اقتراف الذنب فحسب - بل هي مطلوبة على الدوام، لأن ذلك يجعل التائب في توبة دائمة، وإقبال للخير، وثباتاً على الصراط المستقيم. وهذا رسولنا ﷺ المعصوم، يقول «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(١).

فاللَّهُ يحب التائبين، حيث يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢) ولا بد أن تتوفر في التوبة ثلاثة شروط :

- الشرط الأول : الندم.
 - الشرط الثاني : العزم على عدم العودة.
 - الشرط الثالث : الإقلاع المباشر.
 - والشرط الرابع : إعادة الحقوق إلى أهلها.
- والفرق بين التوبة العادية، والتوبة النصوح : أن التوبة النصوح

(١) رواه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢



هي ألا يبقى التائب على عمله أثراً من المعصية سرّاً وجهرّاً،
وألا يشاق لها، أو يتحسر على فواتها، وأن يحدث بعد التوبة
أعمالاً صالحة ما كان يعملها.

وقال الحسن البصري: «التوبة النصوح أن يكون العبد نادماً
على ما مضى، مجمعاً على ألا يعود فيه»^(١).



(١) مدارج السالكين/ ص ٣١٦ - ط. الكتاب العربي.

الخاتمة

وفي ختام هذا الكتاب لابد أن يعلم الأخ القارئ سواء كان من المدمنين التائبين أو من الذين لم يزالوا على طريق الإدمان، أو حتى من غير هؤلاء وهؤلاء أن هذه القصص التي أوردناها، لم يكن قصدنا في إيرادها توثيقاً تاريخياً، أو متعة أدبية، أو تقضية للأوقات، بل أردنا من وراء ذلك أخذ العبرة، والاستفادة، فإن العاقل من اعتبر بغيره، والعاقل من اعتبر غيره به، فهذه قصص لم تكن قصصاً خيالية، بل هي واقعية بكل تفاصيلها، فهل من معتبر؟!.



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
- مقدمة	٣
● الباب الأول: الانتكاسة	٧
- ما هي الانتكاسة ؟	٩
- أهم أسباب الانتكاسة	٩
- ترك الدعاء بالثبات	٩
- ملازمة رفاق السوء	١١
- إيثار العزلة	١٢
- عدم بذل أسباب الثبات	١٢
- الثقة الزائدة بالنفس	١٤
- عدم تحمل المصائب	١٤
- عدم القضاء على الماضي وآثاره	١٦
- عدم الإخلاص في التوبة	١٦
- المخدر البديل	١٧
- الغلو في الدين	١٧
● الباب الثاني: قصص من الواقع	١٩
- القصة الأولى: الحياة الضنك	٢٢
- الترشيح للعمرة	٢٣
- عيون حمراء	٢٤

- ٢٥ - وفاة أبنائه
- ٢٦ - واحسرتاه على أيام التوبة
- ٢٧ - القصة الثانية: فريسة الكلاب
- ٢٩ - القصة الثالثة: مولاي هون علينا
- ٣٥ - القصة الرابعة: المترجم
- ٣٦ - كوخ خارج البيت
- ٣٦ - حضور ثم انقطاع
- ٣٧ - اختيار دون إكراه
- ٣٨ - القصة الخامسة: انتحار
- ٤٤ - القصة السادسة: اصطدام بعد صلاة الفجر
- ٤٥ - اعتراف
- ٤٦ - لقاء في العشر الأواخر
- ٤٧ - ضحية الوالدين
- ٤٨ - عاد من حيث كان
- ٤٩ - القصة السابعة: بطل الكارثيه
- ٤٩ - بداية التعارف
- ٥٠ - ولده يمرض
- ٥١ - انتكاسة في لندن
- ٥١ - نهاية
- ٥٢ - القصة الثامنة: وسقط بعد الالتزام
- ٥٤ - وفاة والده
- ٥٥ - قدم أثناء الانتكاسة :
- ٥٦ - بداية النهاية

- نهاية مبكية ٥٦
- مشواه الأخير ٥٧
- القصة التاسعة: كانوا ثلاثة ٥٨
- الباب الثالث: أسباب الثبات ٦١
- ترك التدخين نهائياً ٦٣
- الصلاة في المساجد ٦٥
- ترك أصحاب السوء تماماً ٦٧
- مصاحبة التائبين والمتدينين ٦٨
- الدعاء المستمر ٦٩
- أداء الفرائض والنوافل ٧١
- شغل الفراغ ٧٢
- زيارة المقابر والمستشفيات ٧٣
- المجاهدة ٧٤
- تجديد التوبة والاستغفار ٧٦
- الخاتمة ٧٨
- الفهرس ٧٩





- ✱ دكتوراه في الشريعة.
- ✱ له ٤٠ كتاباً في مواضيع مختلفة.
- ✱ مقدم برامج دعوية واجتماعية وإدارية في المحطات الفضائية.
- ✱ رئيس جمعية بشائر الخير.



جمعية بشائر الخير